



إن نصوص الشريعة القوية، وآثار الفطر المستقيمة، وبيئات العقول السليمة تدل على أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالتفريط والإضاعة. لذا كان حكيم الأمة الصحابي الناصح أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: من فقه العبد أن يعلم أمزاده هو أو منقوص؟ وإن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أتى تاتبه. فإذا علم المؤمن السذي يربو الله والدار الآخرة أن الإيمان يزيد وينقص وجب عليه أن يتعرف على أسباب زيادته ونقصانه، فقد قال الصحابي الجليل عمير بن حبيب الخطمي رضي الله عنه: الإيمان يزيد وينقص. فقليل: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا نكرنا الله عز وجل وحمدناه وسبحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه.

فأعمال البر والتقوى تزيد الإيمان، وأعمال الإثم والعدوان تنقص الإيمان، فالعبد المؤمن يزداد إيمانه بالعلم النافع، وقراءة القرآن الكريم، وتدبر آيات الذكر الحكيم، وإحصاء أسماء الله الحسنى، والتعرف على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم العطرة، والرضا بالله تعالى ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، والتفكير في محاسن الدين، ومحبة وموالاتة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان، والتأمل في الآيات الكونية، والاستبصار بالعبور والمعطات التي في النفس، وتطهير القلب من الشبهات والشهوات، وترطيب اللسان بذكر الله تعالى، وتكميل الجوارح بالأعمال الصالحة، وإخلاص الدين له عز وجل، وعبادة الرب سبحانه وتعالى رغبة ورهبة، والتوكل على الله تعالى، وكثرة الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وير الوالدين، وصلة الأرحام، ومجاهدة النفس، وأداء الأمانات إلى أهلها، وصدق الحديث، وحفظ العهود، ومجالسة الصالحين، والدعوة إلى الله تعالى، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصح لكل مسلم، والتوبة النصوح، والإتابة إلى الله تعالى، وغير ذلك.

فهذه بعض الطاعات التي أمر الله تعالى بها عباده المؤمنين، التي إذا فعلها العبد مخلصاً لله تعالى متابعا لرسوله صلى الله عليه وسلم ازداد إيمانه، وأصبحت نفسه مطمئنة، فهذه بعض أمارات زيادة الإيمان. وأما علامات نقصان الإيمان: فهي كثيرة جدا، فالعبد المسلم ينقص إيمانه بالجهل في الدين، والوقوع في الشرك الأكبر أو الأصغر، والسهو عن الصلاة، والغفلة عن ذكر الله تعالى، والإعراض عن شرع الله عز وجل، ونسيان أوامر الرب تبارك وتعالى، والابتعاد في الدين، وقتل النفس التي حرم الله تعالى قتلها إلا بالحق، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وشهادة الزور، والزنا، والربا، والسرقه، وأكل أموال البتاني، وأكل أموال الناس بالباطل، والتكبر، والتجبر، والحسد، والبغى، والغش، والغفل، والخداع، والمكر، والبخل، والشح، والجهن، واتباع خطوات الشيطان، والاعتزاز بمتاع الحياة الدنيسا، ومصاحبة قرناء السوء، وغير ذلك من المعاصي.

فهذه بعض المعاصي التي نهى الله تعالى عنها عباده المؤمنين، التي إذا فعلها العبد: نقص إيمانه، وأصبحت نفسه خبيثة، وحرم التوفيق، وفسد رايه، وخفي عليه الحق، واسود قلبه، وخمل نكده، وضاع وقته، ونفر الخلق منه، ومنع إجابة الدعوة، ومحقت بركة رزقه وعمره، وكسي بلباس الذل، وتسلط عليه عدوه، وضاق صدره، وكثر همه، وطال غمه، وبيئته بإهمال نفسه، وترك محاسبة عمله، ويعرض عينيه عن عواقب الأمور، ويتكل على عفو الرجيم الغفور، وينسى أن الدنيا معبر وممر، لا دار مقام، ومستقر، وأنها طريق عبور، لا منزل سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتمت حتى آتت بالرحيل. فنسال الله تعالى أن يغيب قلوبنا بالإيمان، وأن يعيننا من شروور أنفسنا وشروور الشيطان، وأن يعيننا على أسباب زيادة الإيمان، وأن يعصمنا من أسباب زيادة النقصان. ربنا آت في الدنيا حسنة، وفي الآخرة



يوم القادسية يوم من أيام الله «2-1» رستم وربيعي بن عامر

في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل»، قال رستم: «أسيدهم أنت؟»، قال: «لا، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أعضاهم على أعضاهم»، فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: «هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل؟»، فقالوا: «معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب، أما ترى من نياحه»، فقال: «ويلكم لا تنظروا إلى الغياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يستخفون بالغياب والمائل، ويصونون الإحساب».

هذا موقف ربيعي بن عامر رضي الله عنه مع رستم، فهل رأيت قوة وبيان، وسرعة بديهته، ووضوح حجة، ورباطة جأش، ونبات موقف كهذا؟ إنه حدد غاية المسلم، وهي «إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد»، وحدد مصير المسلم، وهو «موعود الله بجنة الله»، وإن كل هذه الإغراءات من الحرير والذهب والنمارق والأرائك لم تهز شعرة منه، ولم تستطع أن تشغله عما أعده الله له في موعده، حيث له فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

كان «رستم» هو قائد الفرس في هذه المعركة بأمر من ملكهم «يزدجرد»، وقد حاول «رستم» التنصل من هذه المهمة، غير أنه اضطر للقيام بها تحت إلهام ملكهم «يزدجرد»، وكانت معنويات الفرس منقطعة تماما، نظرا للانتصارات الباهرة التي سجدها المسلمون في معاركهم السابقة، وكان من الحيل الرائعة التي قام بها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إرساله المجموعات الاستكشافية من جنوده، وبعثه سرايا لتأنيته بالأخبار، وتزويده بالطعام، حتى عرفت أيام قبل «القادسية» بأسماء ما كان فيها من طعام، استخفاف للقوات الفارسية.

وما اقترب الجيشان بدأت المراسلة، فطلب رستم من سعد رضي الله عنه أن يبعث إليه رجلا من رجاله، فأختر له سعد رضي الله عنه أسدا من أسوده، وهو ربيعي بن عامر رضي الله عنه، وقبل قدوم ربيعي رضي الله عنه لجا رستم إلى طريقة الإغراء، فزين له مجالسه بالنمارق، وأظهر الألكي والياقوت والأحجار الكريمة، بيد أنهم فوجئوا برجل قصير القامة، عليه ثياب صفيقة، وأسلحة متواضعة، وفرس صغير، ولم يزل ربيعي



إلى كل مسلم متكبر «2-1»

التكبر في اللغة هو التعظم أي إظهار العظمة قال صاحب اللسان: والتكبر والاستكبار: التعظم ومنه قوله تعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا.. الأعراف:146).

أما في الاصطلاح: فإن التكبر هو تمكن الإعجاب بنفس المتكبر إلى درجة تجعله يحتقر الآخرين وينال من ذواتهم ويترفع عن قبول الحق منهم.

وفي الحديث عن أبي هريرة، أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وكان رجلا جميلا، فقال: يا رسول الله، إنني رجل حبيب إلى الجمال، وأعطيت منه ما ترى، حتى ما أحب أن يفوقني أحد، إما قال: بشراك نعلي، وإما قال: بشمس نعلي، أفمن الكبر ذلك؟ قال: «لا، ولكن الكبر من بطر الحق، وغمط الناس» رواه أبو داود (4092) بسند صحيح.

ولا يجوز الخلط بين التكبر والعزة الإيمانية، فالفرق واضح إذ التكبر ترفع بالباطل، والعزة ترفع بالحق.

إن التكبر داء خطير يعصف بذات صاحبه ويجعله ينجح إلى التعالي على الناس وغمط حقوقهم، وهذا الداء الويليل يبني على شدة الإعجاب بالنفس المؤدية إلى احتقار الناس والترفع عليهم، ويكفي بالتكبر عارا وإثما أنه نزعة شيطانية تشربها قلب المتكبر قال تعالى: (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرق إنك من الصامتين.. الأعراف: 13).

والكبر أصدق ما يقال فيه إنه فضل حمق، لم يدر صاحبه أين يضعه؟ وقد قيل: التكبر على الملوك تعرض للحتوف، وعلى الفقراء ضعة في النفس، وعلى الكفاء جهل عظيم وسخف، ومن رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه.

والكبر داء يعدي، والإفراط في الكبر يوجب المغرضة، كما أن الإفراط في التواضع يوجب الذلة.

ولهذا الخلق المنحرف الذي يصيب بعضهم أسبابه التي تؤدي إليه ويواعته التي ينشأ منها وهي:

1- إختلال القيم أو معايير التفاضل عند الناس، ذلك أن الجهل قد يسود في الناس إلى حد إختلال القيم أو معايير التفاضل عندهم، فتراهم يفضلون صاحب الدنيا، ويقدمونه حتى لو كان عاصيا أو بعيدا عن دين الله تعالى، في الوقت الذي يحتقرون فيه الفقير والمسكين الذي أدارت الدنيا ظهرها له حتى وإن كان طائعا مستقيا بهدي الله، ومن يحيا في هذا الجو يتأثر به لا محالة - إلا من رحم الله - ويتجلى هذا التأثير في احتقار الآخرين والترفع عليهم.

وقد ألع القرآن والسنة إلى هذا السبب من خلال رفض هذا المعيار، ووضع المعيار الصحيح مكانه، قال تعالى: (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين، قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى، إلا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون.. سبأ: 37).

2 - مقارنة ما عند المتكبر من نعمة بما عند الآخرين ونسيان المنعم: ذلك أن من الناس من يتنعم من نعم الله - لحكمة يعلمها - بنعم يحرم منها الآخرين، كالصحة أو الزوجة أو الولد أو المال أو الجاه أو المركز أو العلم أو حسن الحديث أو الكتابة أو التأليف أو القدرة على التأثير، أو كثرة الانصار والاتباع... الخ، وتحت بريق وتأثير هذه النعم ينسى المنعم، ويأخذ في الموازنة أو المقارنة بين نعمته ونعمة الآخرين فيراههم دونه فيها، وحينئذ يحتقرهم ويزدرهم ويضع من شأنهم وهذا هو التكبر، وقد لفت القرآن الكريم النظر إلى هذا السبب، من خلال قصة صاحب الجنتين فقال: (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً، كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرتا خلالهما نهرا، وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا.. الكهف: 33-34).

3 - ظن دوام النعمة وعدم التحول عنها فبعض الناس قد تأتبه النعمة من الدنيا، وتحت تأثيرها وبريقها يظن دوامها أو عدم التحول عنها، وينتهي به هذا الظن إلى التكبر أو الترفع أو التعالي على عباد الله، كما قال صاحب الجنتين لصاحبه: (ما أظن أن تبدي هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة، ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا.. الكهف: 35-36).

4 - ومن بين أسباب الكبر أن يمن الله تعالى على بعض عباده بفضيلة السبق في بعض خصال الخير، وإذا بهم ينظرون إلى اللاحق نظرة ازدراء واحتقار، ولسان حالهم أو مقالهم ينطق في استكبار: ومن هؤلاء الذين يعملون لأن؟ لقد كانوا عدما أو في حكم عدم يوم أن مشينا على الأشواك، وتحملنا المشاق ومتاعب الطريق.

رمضانيات



من روائع الخط العربي والله

الذي أرسل الرياح فتثير سحابا

فاطر: 9

لوحة الفنان جمال الكباس - السعودية بالخط الكوفي الفاطمي، تصور الآية مشهدا لشكل السحاب وتساقط الامطار، فقد وفق الخطاط في التعبير عما ترمي اليه الآية الكريمة من خلال المستويات المتعددة في التكوين كأنها تشير الى إثارة الرياح وحركتها والاقواس في اعلى تركيب تحاكي السحاب المتراكم المحمل بالامطار، اما نهايات هذه الاقواس المتدلالية التي تشير الى الاسفل فكانها تعبر عن تساقط الامطار.

